

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

(المتنبي)

يكثر في الشعر العربي شكوى الزمن ولعل شكوى أبي الطيب من أبلغها. فقد أسند جملة من الأحداث إليه على وجه المجاز: الغصة، السرور، الإحسان والتكدير والإنبات. فجعل منه ذاتاً قادرة على أحداث الشيء ونقيضه، جبارة عابثة بالبشر عبثاً متواصلاً، وإن هي أسعدت بعضهم قليلاً فإنها أطالت شقوتهم جميعاً. ويتبين ذلك من خلال التركيب فقد اقترنت أحداث الإسعاد بأدوات يتقلص بوجودها العموم في الحكم، في حين تقترن أحداث الشقاوة بأدوات ترسخها وتقررها فتبنى المقابلة بين الكل والبعض وبين الشك والإثبات الدال على اليقين:

«سر بعضهم أحياناً» # «تولو بغصة كلهم...»
«ربما تحسن...» # «ولكن تكدر الإحسانا...»

ويمضي كل طرف في هذه المقابلة مغرقاً في اتجاهه إن إيجاباً أو سلباً فيتسع فضاء ما بينهما فيتناسبان عكساً بأن يزيد الواحد منهما يتقلص الآخر وندرته إذ كلما كثر الشقاء قل الإسعاد، ثم ينضاف إلى كل ذلك ما يفعله البشر نفسه عندما يعين الزمن على غرس المصائب. وإذا البشر ضعيف أمام الزمن، أداة طيعة في يده يتصرف فيها كما شاء فكانه الإله.

3-2-3 العلاقة المكانية:

ويكون المسند إليه مكاناً يجري فيه المسند (الفعل أو ما في معناه):

- جرى النهر

أسند فعل الجري إلى النهر وهو مكان جريان الماء أو سيلانه.

- إن الديار تُريق ماء شؤونها كالأمهات وتندب الأحياء

نُسب البكاء مجازاً إلى الديار. والأصل أن يُسند البكاء إلى الإنسان ساكن تلك الديار، وبهذا التجوز أكسب الشاعر البكاء دلالة أبلغ من دلالة جارياً على وجه الحقيقة ذلك أن بكاء الديار على أهلها يكون عند غيابهم منها فيأسف المكان على أهله الذين فارقوه فهم جديرون بذلك لما فيهم من خلال كما أنه قد يأسف على أهله لأنهم سكنوه أو شغلوه ولكنهم فقدوا ما به يفخر بهم فهم أموات - أحياء.